اللَّهُمَّ إنّا نعوذ بك من الكبر والغرور، ومن العُجب وحبّ الظهور.
اللَّهُمَّ طهّر قلوبنا من النّفاق. اللَّهُمَّ طهّرها من الحسد والبغضاء.

الآيات من 35 - 39

آدم وحوّاء في الجنّة وموقف الشّيطان منهما

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٣٩﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

تستمرّ الآيات في بيان أنواع التكريم الإلهيّ للإنسان، حيث يظهر التكريم في المقام الذي أعدّه الله له في الجنّة منذ بدء الخليقة. ولكن شاء الله بحكمته أن يقيم الإنسان في الأرض، ويكلّفه برسالة عظيمة، وهي التعلّق بأسماء الله الحسنى والتخلّق بها، وعمارة الأرض بهذه القيم، وإظهار مزيّة الإنسان في مجاهدته للشيطان ولأهوائه، مما يدلّ على قدرته على التغيير والتحسين.

وقد ذكرت هذه القصّة لتعليمنا حقيقة وجودنا، ولتسلية النّبيّ ﷺ عمّا كان يلاقيه من الإنكار. فهي تبيّن أنّ المعصية جزء من طبيعة البشر، وأنّهم رغم ما أكرمهم الله به قد لا يمتثلون دائمًا للأوامر الإلهية.

المعنى العام

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ حين سجدت له الملائكة ودخل الجنّة: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ الزوج يقال للرجل والمرأة وقد يؤنّث فيقال زوجة، والمراد هنا السيّدة حوّاء سمّيت حوّاء لأنّها خلقت من حيّ- من ضلع آدم الأيسر- ﴿الْجَنَّةَ﴾ الرّوضة، ﴿وَكُلَا﴾ من ثمار الجنّة ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ شجرة عيّنها الله تعالى له، وهي تمثّل شجرة النّهي أو شجرة التّكليف ﴿فَتَكُونَا﴾ إن أكلتما منها ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لنفسيكما، فدخل إبليس خفية، فتكلّم مع آدم عليه السلام فقال له آدمُ عليه السلام: ما أحسن هذه الحالة لو كان الخلود. فحفظها إبليس، ووجد فيها مدخلًا من جهة الطّمع، فقال له: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[1] فدلّه على الأكل من الشّجرة المحظورة، وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾[2] كراهية ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخالدين* وقاسَمَهُما إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3] فأقسم لهما أنّه ناصحٌ لهما، وفي رواية: وربما صدّقاه لظنّهما أنّ من أقسم لا يكذب، فأكلت حوّاء أوّلًا، ثمّ قالت له: قد أكلتُ ولم يضرّني، ثمّ أكل آدم عليه السلام من جنس الشّجرة، لا من عينها متأوّلًا، فطار التّاج واللباس، وأخرجهما ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من رغد العيش والغنى، وأهبطهما إلى الأرض للتّعب والعنا، ليكون خليفة على ما سبق به القضاء.

قال لهم الحقّ تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ يا آدم وحوّاء وإبليس إلى الأرض حيث التّكاليف الماديّة، والحاجات الجسديّة، والمنازعات والمخاصمات وكلّ ما تقتضيه الحياة الطّينيّة من المنغّصات والكروب، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار وتمتّع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ وفاتكم، فتقدمون عليّ فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ من ربّه كلماتٍ﴾ أي: استقبل آدم دعواتٍ من ربّه ألهمه إياها فدعاه بها.. وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4]، ﴿فتاب﴾ الحقّ تعالى عليه واجتباه لحضرته، إنّه توّاب كثير التّوبة على عباده، رحيم بهم، أرحم من أبيهم وأمّهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

أي يا آدم لا يجاورني من عصاني، وقد سبقت كلمتي بهبوطك إلى الأرض لتكون خليفتي بذريّتك، فكرّر عليه الأمر بالهبوط ثانيًا. فقال: ﴿اهبِطُوا مِنها جَميعًا﴾ أنتما بما اشتملتما عليه من ذريّتكما. فكلّما ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾ أي بيان وإرشاد إلى توحيدي ومعرفتي، على يد رسولٍ أو نائبٍ عنه، ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ ذلك الإرشاد واهتدى إلى معرفتي وتوحيدي، وعمل بطاعتي وتكاليفي، ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من فوات محبوب، لأنّي أصرف عنهم جميع المكاره، وأجلب لهم المنافع، ﴿والّذينَ كفَرُوا وكذّبوا بآياتِنا﴾ الدّالّة على قدرتنا المنزّلة على رسلنا، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾[6] عن النّظر فيها، أو عن الخضوع لمن جاء بها، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي هم مخلدون في الجحيم أعاذنا الله منها.

(١) سورة طه، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠- ٢١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٥) سورة البقرة، الآيات: ٣٨- ٣٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٣.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. إنّ الله تعالى نهى آدم وزوجته عن الأكل من شجرةٍ بعينها من أشجار الجنّة دون سائر أشجارها فأكلا منها، ولا علم عند المُفسّرين أيُّ شجرة كانت على التعيين، ولم يَرِدْ دليلٌ على ذلك من القرآن والسنّة الصّحيحة.

٢. اختُلِف في الجنّة التي سكنها آدم، أهي في السّماء أم في الأرض؟ والأكثرون نَصّوا على أنّها في السّماء، وقيل: في الأرض، وأرجح الأقوال وأقربها إلى الصّواب أنّهما كانا في جنّة المأوى عند سدرة المنتهى وليس في جنّة الخلد التي هي فوق السّماء السّابعة. وسيأتي تقرير ذلك في سورة الأعراف [1] إن شاء الله تعالى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خيرُ يَومٍ طَلعتْ عَليهِ الشّمسُ يومُ الجُمعةِ، فيهِ خُلقَ آدمُ، وفيهِ أُدخلَ الجنّةَ، وفيه أُخرجَ منها)) [2].

س ما قصّةُ سيِّدنا آدمَ عليه السلام وكيفَ فُتِحَ لَهُ بابُ التَّوبةِ؟

ج عندما خَلقَ الله تعالى سيّدنا آدمَ عليه السلام في الجنّةِ، ونهاهُ عن أن يَأكُلَ مِن تِلْكَ الشّجرةِ - التي تُمَثِّلُ شجرةَ النَّهي-؛ وَوَسْوَسَ له إبليسُ مِرارًا على أنَّه ناصحٌ أمين، فلَم يستجِبْ له آدمُ عليه السلام، ثمّ نسيَ بعدَ ذلكَ وأكلَ منها، فشعرَ بِخَطَئِهِ، وبادرَ مُعترِفًا ونَدِمَ. فأَلهمَه الله تعالى أن يتوبَ؛ فتابَ آدمُ عليه السلام فتابَ الله عليه. وبذلكَ افتتحَ آدمُ عليه السلام بابَ التّوبةِ، وعلَّمنا مِن بعدِه كيف نتوبُ إن عصينا؟ وكيف نُقِرُّ بظلمِنا أنفُسَنا، وكيف يكونُ السّبيلُ إلى الرّحمةِ والمغفرةِ والنّجاةِ؟ قال ﷺ: ((كُلُّ بني آدمَ خطّاءٌ وخَيْرُ الخَطّائينَ التَّوّابونَ)) [3].

وقد أخبرَنا الله تعالى أنّه يُحِبُّ التّوّابينَ. لذا ليستِ المشكلةُ في أن نُخطئَ إن اعترفنا بخطئنا وندمنا وتبنا، فكلّ ابنِ آدمَ خطّاء، ولكنِ المشكلةُ في أن يُصِرَّ أحدُنا على خطئِه ويستكبِر، دونما استغفارٍ وندمٍ ونيّةٍ صادقةٍ بالتوبة. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[4] وقال على لسانِ أبوَيْنا آدمَ وحوّاءَ: ﴿قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾[5].

وفي الصُّورةِ المقابلةِ لآدمَ عليه السلام إبليسُ الذي عصى الله تعالى، فأبَى أن يَسجدَ لآدمَ عليه السلام كما أمرَهُ الله تعالى، ورَفضَ أن يَعترِفَ بمعصيتِه بل برّرها، وأبى أن يتوبَ وأصرَّ واستكبَرَ، فطردَهُ الله تعالى مِن رحمتِه، فكانت معصية آدم عليه السلام معصية جسديّة، أمّا إبليس فكانت معصيته قلبيّة.

وإذا كان الله تعالى قد أَنْزَلَ آدمَ عليه السلام إلى الأرضِ، فتلكَ لَم تكن عقوبةً له بل رِفعَةً، ومعَ أنّ آدمَ عليه السلام كان في الجنّةِ قبلَ

(١) أي: في تفسير الآية «١٩» منها.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٥٤.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس بن مالك، كتاب وباب: التوبة والإنابة، حديث رقم: ٧٨٢٦.
(٤) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

أن يأكلَ مِن تلكَ الشّجرةِ؛ ولم يكن له الخلودُ فيها. إذ كانَ في جنّةِ المأوى عندَ سِدرةِ المنتهى، ولم يكن في جنّةِ الخلدِ بل على أبوابِها، فأنزلَه الله تعالى إلى الأرضِ؛ ليتعرفَ على الله تعالى وصِفاتِه، وكيفيّة التّعلُّق والتّخلُّق بأسمائه، ثمّ يعودَ إلى الجنّةِ خالدًا فيها في رتبةٍ أعلى بكثيرٍ مِن تلكَ التي كان فيها قبلَ أن يهبطَ إلى الأرضِ.

فنزولُه إلى الأرض لم يكن عقوبةً، بل ليفوزَ بالخلودِ في أعلى مراتبِ الجنّةِ، وبذلك يتّضحُ أنّ الخلودَ في الجنّةِ لَم يكن لآدمَ عليه السلام مِن قبلِ أن يهبطَ إلى الأرضِ، وإنّما هو نتيجةُ فلاحِه في اتّباعِ الصّراطِ المستقيمِ، ومعرفتِه أسماءَ الله الحسنى، وتخلُّقِه بها. وسيّدُنا آدمُ عليه السلام ما نالَ رُتبةَ الخِلافةَ إلّا في الأرضِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، فلم يقل: جاعلٌ في الجنّةِ ولا في السّماءِ بل قال: في الأرض.

فكان نزولُ سيّدِنا آدمَ عليه السلام إلى الأرضِ نزولَ كرامةٍ لا نزولَ إهانةٍ. وهو إن كان يعبدُ الله في الجنّةِ بالتّعريفِ؛ فقد أنزلَه تعالى إلى الأرضِ ليَعبُدَه بالتّكليفِ. ولمّا تمّتْ فيه العبوديّتانِ استحقَّ أن يكونَ خليفةً.

وأنتَ كذلكَ أيُّها الإنسانُ! لكَ نَصِيبٌ أو حُظْوةٌ مِن أبيكَ آدمَ عليه السلام، فبدايتُكَ كانت في سماءِ الرُّوحِ في جنّةِ المعارِفِ. فقد خَلَقَ الله تعالى أرواحَنا قبلَ أجسامِنا، وكانت في عالَمِ الأمرِ، ثمّ أُنزِلَتْ إلى أرضِ النّفْسِ؛ لِتعبدَ الله تعالى بالتّكليفِ، وذلك عندَ دخولِ الرُّوحِ في الجسدِ. فإذا اكتملتْ فيكَ العبوديّتان استحقَقتَ أن تكونَ خليفة[2].

س لِمَ لا تخلو الدُّنيا مِن الأمراضِ والمصائبِ والشّيخوخةِ والموتِ؟

ج الدنيا هي مظهر تجلّي الأسماء الإلهية التّسعة والتّسعين. ولِيتعرّف الإنسان إلى هذه الأسماء، خلق الله تعالى الدنيا وجعلها دار ابتلاء، فيها الخير والشرّ، والأعراض والأمراض والمصائب، والانتقال من الطفولة إلى الشباب، فالكهولة، ثمّ الشيخوخة، وأخيرًا الموت. فمن نجح في معرفة هذه الأسماء التّسعة والتّسعين والتخلّق بها، نقله الله تعالى من الدار الدنيا المؤقّتة بما فيها من خير وشرّ، وسرور ونكد، إلى الدار الآخرة الأبديّة التي سمّاها دار السلام، حيث لا أمراض، ولا مصائب، ولا شيخوخة، ولا كرب، بل سلام مطلق وسعادة تامّة. وفيها يعرف الإنسان باقي أسماء الله تعالى التي لا تُعدّ ولا تُحصى إلى أبد الآبدين.

ومن أسمائه تعالى اسم الله **العدل**، فكيف للإنسان أن يعرف العدل إن لم يرَ الظلم ويتعرّض له في الدنيا؟ وكيف له أن يعرف اسم الله **الشافي** إن لم يمرض؟ وكيف يتعرّف إلى **المُعزّ والمذلّ** إن لم يعش معاني العز والذل؟

ومن أسمائه **المؤمن**، الذي يهب الأمان من المخاطر، فكيف يعرف الإنسان هذا الاسم إن لم يتعرّض للخطر فيسأل الله **المؤمن** أن يهب له الأمان؟! ومنها أيضًا اسمه تعالى الجبّار، الذي يجبر الخاطر، فكيف يعرف الإنسان هذا الاسم إن لم يتعرّض لكسر الخاطر؟ والأمثلة على ذلك كثيرة.

فإذا عرف العبد هذه الأسماء التّسعةَ والتّسعين وتجلّياتها في الدُّنيا، انتقل إلى الآخرة ودخَلَ الجنَّةَ، التي هي دار السَّلام، ليتعَرَّفَ فيها على أسماء الله تعالى التي لا حصر لها ولا عدد.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) أنظر، لطائف المِنن لابن عطاء الله السّكندري.

من أسماء الله الحسنى: التوّاب

شرح اسم الله التوّاب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١]، ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾. والتوّاب: هو الذي يتوب على عباده، ويكثرُ التَّوْبَ على كثرة عصيانهم.

ومعنى توبة الله على العبد: أي ابتداء التّوبة من الله وإتمامها على العبد بقبولها.

التعلّق باسم الله التوّاب: أن تسأله دومًا أن يتوب عليك.

من أسماء الله الحسنى: الرّحيم:

شرح اسم الله الرحيم: دائم الرحمة، يعطي بلا حدود، يحيط الوجود برحمته، فلا يفلت أحد من قبضته، تتنزّل رحمته من السّماء ليل نهار على الأبرار والفجّار دون خيار، وهو المنعم بنعمة الإمداد.

الرّحيم مقتضاه الإمداد وهو نوعان: **الإمداد الحسّيّ** لجميع الخلائق - وهو قضاء الحوائج - **والإمداد المعنويّ** للرّوحانية، خاصٌّ بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٢]. وهو الهداية والأنوار والعلوم والمعارف، وإمداد المؤمن زيادة في ثوابته، فهو رحمة في حقّه.

هو الذي يقضي حوائج المؤمنين خاصّة في الدّنيا والآخرة.

التّعلّق باسم الله الرّحيم:

- باستمطار الأمداد الحسّيّة والمعنويّة من الله تعالى مع الاستعداد للأمداد المعنويّة بالتفرّغ من الأغيار - كلّ ما سوى الله- والتطهّر من الأكدار. كما قال سيدي ابن عطاء الله السّكندريّ - رحمه الله-: **فرّغ قلبك من الأغيار يملأْهُ بالمعارف والأسرار.** ويأتي الإمداد بقدر الاستعداد في قلبك. فالاستعداد له علاقة كبيرة باسم الله الرّحيم، كما قال النّبيّ ﷺ: «**ارحموا مَن في الأرضِ يرحَمكُم مَن في السّماء**»[٣]. إنّ الأنوار والرّحمات تتنزّل على قدر الرّحمة في قلبك.
- أن ترفع كلّ حوائجك إلى الله تعالى.

الكون مخلوق لله ومملوك له، فليس لأحد غيره تعالى أن يتصرّف في شيء منه إلا بإذنه:

لمّا كان هذا المخلوق مملوكًا لله تعالى الذي خلقه، والمُلك الحقيقيّ يستلزم الحقّ في الانفراد بالتّصرف، ونحن البشر جزء من هذا المُلك، فإنّه ليس من حقّ أيّ أحد - غير الله - أن يتصرّف في مُلك الله بشيء مهما كان، إلا إذا أذن الله له بذلك.

مثلاً: الأرض التي نسكنها، ونحرثها ونزرعها، ونستعمل خيراتها، ونتسلّط على حيازة أموالها، هي ملك الله تعالى الذي خلقها. وليس لنا أن نفعل فيها شيئًا إلا بما أذن لنا الله، وضمن الحدود التي يحدّها لنا.

فإذا أذن لنا أن نذبح حيوانًا ونأكل لحمه، أو أن نشرب شرابًا ما، كان لنا ذلك بمقتضى الإذن. وإذا لم يأذن لنا أن نذبح حيوانًا معيّنًا ونأكل لحمه، أو منعنا أن نشرب شرابًا ما، لم يكن لنا ذلك، لأنّ المُلكَ ملكُه، والأمرَ أمرُه، والإذنَ إذنُه. وإذا أذن لنا أن نعمل عملًا ما، كان لنا ذلك. وإذا لم يأذن لنا بأن نعمل عملًا آخر، لم يكن لنا ذلك، لأنّ المُلك ملكه، والأمر أمره، والإذن إذنه أيضًا.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.
(٣) رواه التّرمذيّ في سننه، عن عبد الله بن عمرو، ٢٥- أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم: ١٩٢٤، وهو حسن صحيح.

فنحن إذن ملزمون بتتبّع الحدود التي يحدّها لنا خالق الكون ومالكه، وملزمون بالتقيّد بمقتضيات الإذن الذي يأذن لنا به في مُلكه. وليس لنا أن نتجاوز هذه الحدود، ولا أن نتعدّى مقتضيات الإذن وإلا كنّا عصاة معتدين على حقّ مُلْكِ المَالِك الخالق القادر، والمعتدي يعرّض نفسه للعقوبة.

ومن ذلك: إذْنُ الله لآدم عليه السلام وحوّاء عندما أدخلهما الجنة أن يأكلا من ثمرها رغدًا، إلا شجرة واحدة لم يأذن لهما أن يأكلا منها. فلمّا نسيا وأكلا منها، خالفا مقتضى إذْنِ الله لهما في مُلكه، فأخرجهما من الجنة التي هي مخلوقة لله، مملوكة له، والنصّ القرآني يوضّح مفهوم ملكيّة الله للكون وأهمّيّة التزام الإنسان بما أذن به الله في تصرّفاته.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- اقرأ قصّة آدم عليه السلام لتتذكّر دومًا وسائل وسوسة إبليس وكيف يأتيك كالنّاصح: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.
- وقد ذكرَ الله تعالى هذه القصّة في كتابه الكريم ليُعلِّمَنا أنّ إبليسَ عدوٌّ لنا لا يَملُّ مِن محاولةِ غِوايتِنا، حيثُ قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[1]، وقال: ﴿...ولا تَتَّبِعوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّه لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين﴾[2]. فإن زَلّتْ بأحدِنا القدَمُ ووَقعَ في مكائدِ الشَّيطانِ؛ فعليه بالتّوبةِ مستَعينًا بالله تعالى أن يُخرِجَه مِن ظُلمةِ المعصيةِ إلى نُورِ الطّاعةِ، ومِن وطأةِ الضّلالةِ إلى سكينةِ الهُدى، قائلًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ﴾[3]، مبتعِدًا عن أنْ يَنزَلِقَ وراءَ خُطُواتِ الشّيطانِ ومزالِقِهِ ووسَوَسَتِهِ ومَكائِدِهِ.
- تذكّر ما وقع منك أو من أسرتك من ذنب، ثمّ قل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله الرّحيم:

- أن تسعى جهدَك في قضاء حوائجِ النّاسِ وكلّ ذي روحٍ من غير سؤالهم ومن غير أن يطلبوا مِنك لأنّك أنت من يشعر بهم؛ فأَحَبُّ العِبادِ إلى الله أنفعُهُم لِعِبادِ الله تعالى.
- إغاثة المساكين والملهوفين، والرّفق بعباد الله أجمعين سواء منهم الطّائعين، أو العاصين، وكون ذلك شكرًا لله لما أسداه عليك من نِعم. فعندما تقضي حاجة إنسان عليك أن تتذكّر أنّ الله أحوجه إليك وأنت غنيّ عن حاجته،

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.
(٣) سورة الفاتحة، الآيتان ٥- ٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

فتقضي حاجته شُكرًا لله الذي لم يُحوِجك إلى ما أحوجَهُ إليه.

- الشّعور بألم المتألّم، والرّحمة على الجائع، والعطف على العاصي ولو كان خصمًا لك، لأنّك تشعر بأنّه يهوي في مهاوي الضّلال، ومآله إلى الوبال فتنصحه وتعظه. وهذا وصف الله تعالى للنّبيّ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] فشرّفهُ بقوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فالشّعور بالآخرين وراثة من رسول الله ﷺ. وكلّما تخلّقنا بأخلاق النّبيّ الأكرم ﷺ كلّما أحبّنا الله أكثر. فالنّبيّ ﷺ يشعر بك لأنّه أوْلى من نفسك، ولأنّ روحك تستمِدُّ من روحه فاجعل هواك تَبَعًا لِما جاء به.

من الأخلاق المحمديّة: الاعتراف بالخطأ والاعتذار:

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ من اسمي الله تعالى **التّوّاب، المذلّ**.

التّخلق باسم الله التّوّاب: هو أن يُسارِعَ الإنسانُ إلى التّوبةِ والنّدمِ والاعترافِ بالخطأ، وأن يعتذرَ ويطلُبَ الصّفحَ وَالعَفوَ ممَّن أخطأ بِحَقِّهِم.

التّخلّق باسم الله المذلّ: هو بأن تخالف نفسك وهواك وتعترف بخطئك من غير أن تصرّ عليه أو تلقي باللوم على أخطاء الآخرين.

- مَن منّا لا يرتكب أخطاء في حقّ نفسه وفي حقّ الآخرين؟ ولكن مَن لديه الجرأةُ الكافية وقوّةُ الحقّ لديه طاغيّةٌ على كبره فيعتذر بدلًا مِنَ التّبرير؟

قال ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدمَ خطّاءٌ، وخَيرُ الخَطّائينَ التّوّابونَ»[2].

وقال أيضًا: «والّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[3].

- الاعتراف بالخطأ خُلق الأنبياء وتبريره خلق الشّيطان.
- الاعتذار والاعتراف بالذّنب معناه الاقتناع بأنّ هناك خطأً ينبغي تصحيحه.
- الاعتذار لا يكون لفظًا فقط، بل لا بدّ أن يصاحبه شعور بالنّدم والتّوبة عن فعله في كلّ مرّة. فليكُن سَيّد الاستِغْفار معك لَفْظًا وروحًا.
- يتفادى الإنسان بالاعتراف بالذّنب وبالاعتذار مشاكلَ كثيرةً، فتزيد الألفة والمحبّة بينه وبين النّاس، وتعود الحقوق إلى أصحابها، وتُمحى الذّنوب، ويُنزع الحقد والغلّ من قلوب الآخرين، كما يساعد صاحبه على التّخلّص من الكبر عبر مجاهدة النّفس، لأنّه يترك ما تحبّه نفسه لما يحبّه الله تعالى.
- عند ارتكاب الأخطاء والمعاصي المقصودة وغير المقصودة، نسارع على الفور بالاستغفار والتّوبة لله تعالى ليغفر لنا: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4].
- إذا جاء مَن يعتذر منك فاقبل اعتذاره ولا ترفضه تعاليًا وتكبّرًا. ولا تعاند ولا تصرّ على موقفك فيزداد الأمر تعقيدًا.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة. كتاب: التوبة. باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، حديث رقم: ٢٧٤٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

بل سامح واصفح، فالصّفح سببٌ لمغفرة الله تعالى لنا، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَمَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلًا فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلًا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ»[2].

وفي الحِكَمِ العطائية:

- ربّ معصية أورثت ذلًا وانكسارًا خيرٌ من طاعة أورثت عُجبًا واستكبارًا.
- ربّما قضى عليك بالذّنب فكان سبب الوصول.

في السّيرة والشّمائل

في السّلوك

الإشارة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

أسْكَنَه تعالى الجنّةَ ولكن أثبت مع دخوله شجرة المحنة، ولولا سابق التّقدير لتبدّلَتْ تلك الشّجرةُ بالنّضارة ذبولًا، وبالخضرة يبسًا، وبالوجود فقدًا، وكانت لا تصل يد آدم إلى الأوراق ليخصفها على نفسه ويقع منه ما يقع.

ولو تطاولت تلك الشّجرة حتى كانت لا تصل إليها يده حين مدّها لم يقع في شأنه كلّ ذلك التّشويش ولكن بدا من التّقدير ما سبق به الحكم، ولا مكانَ أفضل من الجنّة، ولا بَشَرَ أكيس من آدم، ولا ناصح يقابل قوله إشارة الحقّ عليه، ولا غريبة منه قبل ارتكابه ما ارتكب، ولا عزيمة أشدّ من عزيمته، ولكنَّ القدرةَ لا تُكابَر، والحُكْمَ لا يُعَارض.

يقول الحقّ جلّ جلاله للرّوح، إذا كمل تهذيبها، وتمّت تربيتها: اسكن أنت وبشريّتك التي تزوجتها جنّة المعارف، قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[3]، وَكُلا من ثمار أذواقها وأنهار علومها، وتبوَّآ من قصور ترقّياتها أكلًا واسعًا ما دمتما متحلّين بالأدب، ولا تقربا شجرة المعصية وسوء الأدب ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فلمّا سكنت النُّفوسُ جنّة الخلود، وشَرِهَتْ إلى الخلود، أهبطها الله إلى أرض العبوديّة، وردّها إلى البقاء لتستحقّ الخلافة، وتقوم بحقوق الربوبيّة، بسبب ما ارتكبتْهُ من المعصية، وهي الشَّرَهُ إلى دوام الحريّة، فكلّ ما ينزل بالرّوح إلى قهريّة العبوديّة، فهو سبب إلى التّرقّي لشهود نور الربوبيّة، وربما قضى عليك بالذّنب فكان سبب الوصول، فلمّا أراد الحقّ تعالى أن ينزلها إلى أرض العبوديّة بالسّلوك بعد الجذب- هذا ممّن ملك فسلك- قال لها ولمن يحاربها من الشّيطان والهوى والدّنيا وسائر الحظوظ: اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ، ولكم- أيّها العارفون بعد جهاد أعدائكم- في أرض العبوديّة، استقرار وتمتّعٌ بتجليّات أنوار الربوبيّة، إلى حين الملاقاة

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة. كتاب: التوبة. باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، حديث رقم: ٢٧٤٩.

(٣) سورة التكوير، الآية: ٧.

الحقيقيّة والتي منها [رؤية الله سبحانه وتعالى]. فتلقّت الرّوح من ربّها كلمات الإنابة، وهبَّ عليها نسيم الهداية، بما سبق لها من عين العناية، فتاب عليها، وقرَّبها إلى حضرة الشّهود، ومعاينة طلعة الملك الودود، إنّه توّاب رحيم جوّاد كريم.

وفي الإشارة أيضًا: ويحتمل أن تكون كلمات آدم عليه السلام اعتذارًا وتنصّلًا، وكلمات الحقّ سبحانه قبولًا وتفضّلًا. وعلى لسان التّفسير أنّ قوله تعالى له: أفِرارًا منّا يا آدم؟ كذلك قوله عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا...﴾[1]. وقوله: أَمُخْرِجِيَّ أنت من الجنّة؟ فقال: نعم، فقال أترُدّني إليها؟ فقال: نعم.

ويقال حين أمر بخروجه من الجنّة جعل ما أسمعه إيّاه من عزيز خطابه زادًا، ليكون له تذكرة وعتادًا ومخاطبات الأحباب لا تحتمل الشّرح، ولا يحيط الأجانب بها علمًا، وعلى طريق الإشارة لا على معنى التّفسير والتّأويل، والحكم على الغيب بأنّه كان كذلك وأراد به الحقّ سبحانه ذلك يحتمل في حال الأحباب عند المفارقة، وأوقات الوداع أن يقال إذا خرجت من عندي فلا تنسَ عهدي، وإن تَقَاصَر عنك يومًا خبري فإيّاك أن تؤثر عليّ غيري، ومن المحتمل أيضًا أن يقال إن فاتني وصولك فلا يتأخَّرَنَّ عنّي رسولُك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾، والذين قابلوا النّعمة بغير الشّكر، وغفلوا عن التّصديق والتّحقيق فلهم عذاب أليم مؤجَّل، وفراق معجَّل.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

- قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[2]
- **سيّد الاستغفار، «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعوذ بكَ مِنْ شَرّ ما صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وأبوءُ بِذَنْبِي واغْفِرْ لي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلّا أَنْتَ»**[3].
- **اللَّهُمَّ اجعل سيّئاتي سيّئات من أحببت - سيّدنا آدم - ولا تجعل حسناتي حسنات من أبغضت- إبليس-، فإنّ السّيّئة لا تضرّ مع الحبّ منك، وإنّ الحسنة لا تنفع مع البُغض منك. (نسأل الله تعالى أن نكون من أحبابه).**

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن شدّاد بن أوس. حديث رقم: ٦٣٠٦. كتاب: الدّعوات. باب: أفضل الاستغفار.

- اللَّهُمَّ إنّك عفوٌّ كريم تحبّ العفو فاعفُ عنّا [عندما تعفو عمّن أخطأ بحقّك يعفُ عنك].

- يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّه، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

- اللَّهُمَّ إنِّي ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلّا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنّك أنت الغفور الرّحيم.

- ولندعُ دعاء النّبيّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ» [1].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي بكر الصّديق. حديث رقم: ٨٣٤. كتاب: الأذان. باب: الدّعاء قبل السّلام.